كي يشاهد. والفكرة الثانية، وهي فكرة الماشياح اليهودية، وهو هذا الملك من نسل داوود الذي سوف يأتي ليخلّص اليهود من نير الاغيار، ويعود بهم الى وطنهم القومي، وسوف يقف ذلك شاهداً على عظمة اليهود وعلى ضعة الآخرين. وكلتا الفكرتين ساهمتا في تعميق غربة اليهود، وانعزالهم، وتفكيك اواصر الصلة بينهم وبين البلاد والشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. ثم جاء الفكر البروتستانتي الاسترجاعي ومزج الفكرتين، فأصبح الشعب الشاهد هو، أيضاً، الشعب المقدس، الذي يجب استرجاعه الى فلسطين لتنصيره، حتى يتم التخلص منه والخلاص للجميع. وفي كل هذه الرؤى، الكاثوليكية والبروتستانتية واليهودية، ثمة افتراض أن اليهود شعب غريب لا جذور له.

ان حدودية اليهود في المجتمع الغربي اصبحت وضعاً طبقياً ووظيفياً محدداً يسانده بناء فكري وديني، مما يعني أنه كان يوجد على مستوى الواقع وعلى مستوى الوعي . وبذا تحددت صورتهم وتبلورت، وتحدد دورهم كعنصر غريب هامشي وسيط . وقد تعاملت اوروبا معهم في هذا الاطار حتى العام ١٩٥٠ تقريباً (أي بعد الابادة النازية وقيام الدولة الصهيونية واندماج يهود الولايات المتحدة الاميركية).

وقد كانت حدودية اليهود في الحضارة الغربية هي العنصر الاساسي الذي حدّد مواطن استقرارهم. ففي العصور الوسطى، استقر اليهود في انجلترا مع الغزو النورماندي، واستقروا في الموانىء، والمراكز التجارية، مثل لندن. وقد ظل اليهود مرتبطين بالعنصر الفرنسي الغازي الى ان تم طردهم من انجلترا في القرن الثالث عشر. وفي القارة الاوروبية، نجد أن استقرار اليهود أخذ الشكل ذاته. وقد أشرنا من قبل الى استيطانهم في كولون، ويمكن أن نذكر أنهم استوطنوا، أيضاً، في مدن تقع على نهر الراين، مثل فرانكفورت وورمز وسبير ومتز وفردن، أو على انهار أخرى، مثل مدينة اوجسبرج وماجدبرج وبراغ. والانهار ـ كما هو معروف ـ هي من أهم طرق النقل والتجارة، خاصة قبل الثورة الصناعية.

وقد استمر النمط ذاته وتعمق في شبه جزيرة ايبريا. ومن المعروف أنه، بعد الفتح الاسلامي، بقي بعض اعضاء الطائفة في الجيوب المسيحية في الشمال. وقد أسس شارلمان دويلة، أو جيباً، يسمى ماركا هيسبانيكا في جبال البرانس، فوطّن فيه الرواد اليهود ليكون بمثابة حاجز ضد الزحف الاسلامي. وتدل الوثائق على أن اليهود كان لهم حق امتلاك الاراضي الزراعية، والعمل فيها، وشرائها، وبيعها، واستئجارها، وتأجيرها. ونظراً لغياب كثافة بشرية مسيحية، يلاحظ أنه في اثناء الغزو المسيحي التدريجي لشبه جزيرة ايبريا، كان اليهود من العناصر الاساسية التي اعتمدت عليها الجيوش الغازية، فانخرطوا في سلك الجيوش الغازية، ثم وطّنت عناصر يهودية في الاراضي المفتوحة، وكانوا يعطون، مرة أخرى، حق امتلاك الاراضي وزراعتها، وكانت الارض هي مصدر رزقهم الاساسي .

وقد تكرر النمط ذاته في مورسيا وفالينسيا ولامنشا ومقاطعة الاندلس وغيرها. وقد أعطوا، أيضاً، حق فتح محلات تجارية، شريطة أن يستوطنوا مع اسرهم. ويلاحظ انه بعد أن استقر الحكم المسيحي في شبه جزيرة ايبريا، ومع انحسار المدّ الغربي، فقدت شبه الجزيرة صفتها الحدودية، فتم طرد اعضاء الطائفة، بعد زواج فرديناند بايزابيلا ببضعة اعوام.

وقد انتشر يهود السفاراد ويهود المارانو (المتخفون)، الذين طردوا من اسبانيا والبرتغال، في انحاء المعمورة. ويلاحظ أن هؤلاء السفاراد والمارانو كانوا يتسمون بدرجة عالية، وحادة، من الحدودية. فهم كانوا على معرفة بالحضارتين السائدتين آنذاك، حضارة المسلمين في الشرق، والمسيحين في